مركز البحوث والترجمة

دراسات إفريقية

مجلة بحوث نصف سنوية

في هذا العدد:

- الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق افريقيا
  د. عبد الرحمن أحمد عثـ
- القبيلة من منظور إسلامي
  أ.د. زكريا بشير إ
- عالم صوفي على هامش الصحراء
  عرض الدكتور/ علي صالح
- مصادر مدرسة السيد أحمد بن إدريس
  د. يحيي محمد إبرا
- مكانة اللغة العربية في المجتمع الشادي المعاصر
  د. محمد صالح أ
- النوبة الأصل والتاريخ
  د. سامية بشير دفع

العدد الرابع عشر يناير ١٩٩٦م رمضان ١٤١٦هـ

نبذة عن المجلة

دراسات إفريقية مجلة متخصصة تعنى بالدراسات الإفريقية في مختلف العلوم الإنسانية غير أنها تولي عناية خاصة لواقع الإسلام والمسلمين في الأقطار الإفريقية غير العربية وهي تعمل على تشجيع البحوث في القضايا المتصلة بالمجالات الآتية على وجه الخصوص:

١ ـ التعليم الإسلامي في إفريقيا.
٢ ـ اللغة العربية في إفريقيا.
٣ ـ انتشار الإسلام في إفريقيا.
٤ ـ الدعوة الإسلامية ونشاط الكنائس المسيحية في إفريقيا.
٥ ـ الخلفية التاريخية للمجتمعات الإفريقية المسلمة وأثرها في ممارسات المسلمين في إفريقيا.
٦ ـ العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين إفريقيا وبقية العالم الإسلامي.
٧ ـ التعريف بالمؤسسات العلمية التي تعمل في حقل الدراسات الإفريقية.

تصدر المجلة مرتين في العام. واللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة وتنشر بعض البحوث المكتوبة بالإنجليزية والفرنسية

تنشر البحوث المجازة من قبل محكمين مختصين ويمنح أصحاب البحوث المجازة حوافز إكرامية تقديراً لجهود كاتبيها ويعطى مؤلف البحث المنشور عشرين نسخة من مقاله.

تنشر المجلة مراجعات الكتب الصادرة حديثا في عالم الدراسات الإفريقية وتستعرض الرسائل الجامعية بالإضافة للأعمال التوثيقية كالببليوغرافيا.

يرجى من المؤلف أن يذكر نبذة تعريفية عن مؤلفاته وأبحاثه وعمله الحالي وعنوانه ويرفق خطابا يوضح أن بحثه لم ينشر من قبل في أية مجلة أو كتاب سواء أكان كاملاً أم بشكل مختصر ويتعهد بعدم تقديمه إلى أية جهة أخرى قبل أن تصدر المجلة قراراً بشأنه.ومن جهة أخرى تعمل هيئة التحرير على إصدار قرار في خصوص البحث في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ تسلمه.

لاتلتزم المجلة بإرجاع البحوث التي لاتنشر إلى أصحابها.

تتراوح البحوث التي تنشر بالمجلة بين (٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠) كلمة ويرسل البحث مطبوعاً من نسختين. تكون الطباعة واضحة وعلى صفحة واحدة وتترك مسافات مزدوجة بين السطور كما يترك هامش على الجهة اليمنى بمقدار بوصة وربع البوصة ونفس المسافة على الجهة اليسرى في حالة البحوث المكتوبة بالحروف اللاتينية. تطبع الحواشي والمصادر على ورقة منفصلة في نهاية البحث ويشار إليها في صلب البحث بأرقام متسلسلة بين قوسين. تطبع الخرائط والبيانات والجداول في صفحات منفصلة بحيث لاتتجاوز أبعادها حجم الصفحة.

د. عبد الرحمن أحمد عثمان
رئيس التحرير

دراسات إفريقية

مجلة دراسات نصف سنوية يصدرها مركز البحوث والترجمة
بجامعة إفريقيا العالمية
ص . ب : ٢٤٦٩ الخرطوم – السودان

المقالات والبحوث المنشورة تعبر عن اراء كاتبيها ولاتعبر بالضرورة
عن أراء تتبناها هيئة التحرير أو جامعة إفريقيا العالمية

الطابعون :
دار جامعة افريقيا العالمية للطباعة

المشرف العام
البروفسير / عبد الرحيم علي محمد

رئيس هيئة التحرير
الدكتور / حسن مكي محمد احمد

رئيس التحرير
الدكتور / عبد الرحمن احمد عثمان

سكرتير التحرير
الاستاذ / الناصر عبد الله ابو كدوك

اعضاء هيئة التحرير
الاستاذ / الطيب ابشر الطيب
الاستاذ / وداعة محمد الحسن مكوه
الاستاذ / حسن سيد احمد الناطق
الاستاذ / تاج السر بشير
الاستاذ / يحي محمد الحسن المبروب

مستشاري

البروفسير / يوسف فضل حسن
البروفسير / عبد الله الطيب المبذوب
البروفسير / عثمان سيد احمد اسماعيل
البروفسير / سيد حامد حريز
البروفسير / صدقي عبد الرحيم الطيب
الدكتور / احمد خالد بابكر
الدكتور / الامين ابو منقه
الدكتور / عبد اللطيف محمد البوني

كلمة افتتاحية

القارئ الكريم ، بين يديك مرة أخرى مجلتك - دراسات إفريقية - في عددها الرابع عشر وهو كما ترى حافل بشتى الموضوعات ذات الطابع العلمي الموثق احتوت على صنوف من المعرفة الانسانية يحتاجها الباحث والدارس والقارئ المتخصص وغير المتخصص صاغتها أقلام مدربة ولها باع طويل في كتابة البحوث العلمية الجادة المفيدة والمعتمدة على المعرفة اليقينية بموضوع البحث الذي يتناوله كل في ميدانه .

في هذا العدد ، كالاعداد السابقة ، حافظنا فيه بقدر المستطاع على كتابنا العلماء كما افسحنا المجال لاقلام جديدة سعيا وراء التنوع المفيد واستقطابا لميادين جديدة من المعرفة .

نطالع مرة أخرى الدارسة العلمية الجادة حول موضوع حوار الاسلام مع الغرب (باللغة الانجليزية) ولعله الآن يبلغ غايته في ايجاد آلية عملية وميسرة لذلك الحوار المنشود وهنالك دراسات أخرى تناولت تأصيل الثقافة الاسلامية في شرق إفريقيا وامتدادها حتى حوض الكنغو وتناولت القبيلة في منظورها الإسلامي وبحثت في مصادر مدرسة السيد أحمد بن إدريس ذلك العالم الصوفي الجليل الذي أحدث ولايزال يحدث أثراً ملحوظا في العالم الاسلامي ثم تناولت كذلك بحثا عن النوبة في التاريخ ولكن لعل مما تميز به هذا العدد بحثان مميزان في ميدان اللغة كما إن بالعدد مراجعتان لبحثين أحدهما لعالم نرويجي وآخر لأحد طلاب الدراسات الافريقية العليا بمركز البحوث والترجمة بجامعة إفريقيا العالمية .

نأمل أن يجد القراء علماء متخصصين أو غيرهم ما يفيد ويرضى ونناشد قرائنا الفضلاء اسداء النصح والتوجيه والنقد البناني حتى ترتقي مجلتكم العزيزة عددا بعد عدد في نشر ألوية العلم والمعرفة فكل عمل بشرى غير معصوم من الخطأ فلا كامل إلا وجه الله .

أخيراً يسعد هيئة التحرير أن تزجي التقدير والثناء والعرفان لكل المساهمين في هذا العدد من العلماء والباحثين وعلى الله قصد السبيل ونسأله الرشد والتوفيق .

هيئة التحرير

مكانة اللغة العربية في المجتمع

الشادي المعاصر

د. محمد صالح أيوب *

مقدمـــة :

إن معرفة مكانة اللغة في أي مجتمع من المجتمعات تتطلب الوقوف على معطيات معينة ، هذه المعطيات هي المقاييس التي من خلالها يمكن أن نقول إن لغة ما لها مكانة في ذلك المجتمع أم لا .

فالباحث بإمكانه اختبار مكانة اللغة في المجتمع عن طريق البعد التاريخي وبقياس المدى الزمني لاتصال هذا المجتمع بهذه اللغة ، ثم يأتي بعد ذلك البعد الثقافي ، ويدرس من خلالها هل هذه اللغة لغة تعلم ودراسة أم لا ؟ وهل لهذه اللغة أرضية اجتماعية داخل المجتمع ؟ ويقاس بمدى قبول المجتمع واستعماله واستفادته من هذه اللغة ، ثم البعد المؤسسي والقانوني ، ويتمثل في المعاهدات والمواثيق والمراسيم والدساتير وما أعطته لهذه اللغة من مكانة قانونية ، وهذا البعد بدوره يوصلنا إلى البعد السياسي الذي هو نتيجة طبيعية للبعد القانوني ، فطالما هذه اللغة يقرها الدستور والميثاق الوطني فهي لغة سياسية بطبيعة الحال .

ونختتم عملنا هذا باجراء مقارنة بين مكانة اللغة العربية والفرانكفونية في الواقع الشادي المعاصر .

---

* أستاذ مساعد بجامعة انجمينا في جمهورية تشاد

١- البعد التاريخي

تبدأ مؤشرات المكانة الاجتماعية للغة في المجتمع من الاتصال اللغوي بين مجتمع وآخر ، فاللغات العالمية والمحلية تنتشر من مجتمع الى مجتمع آخر عن طريق الاتصال اللغوي ، ويركز على الناحية التاريخية في هذا الاتصال على اعتبار أن اكتساب اللغة عملية تراكمية لاتتم في المجتمع الكبير بصورة سريعة بل تحتاج إلى فترات طويلة لكي تتجسد وتصير جزءا من حضارة وتاريخ المجتمع الذي تم الاتصال به .

وهذه القاعدة تنطبق على المجتمع الشادي المعاصر فمكانة اللغة العربية فيه ذات بعد تاريخي .

حيث يقر الكتاب الفرنسيون في الوقت الحاضر أن أول اتصال معلوم تاريخيا بين المجتمع الشادي واللغة العربية تم في القرن السابع الميلادي ، وبالتحديد عام ٦٦٦/ ٦٦٧م عندما وصل عقبة بن نافع إلى جبال كوارتسي وهي منطقة تابعة لمملكة كانم في تلك الأونة ، ومن هذا الاتصال انسابت الثقافة العربية مع الإنتشار الطبيعي للإسلام نحو بحيرة شاد [١] .

وبين أيدينا في الوقت الحاضر مخطوطات ووثائق كتبت باللغة العربية ترجع إلى القرن الحادي عشر ، وبوصول القرن الرابع عشر تطورت اللغة العربية بشكل كبير حيث صارت اللغة الرسمية المكتوبة للمجتمعات حول بحيرة شاد [٢].

٢- البعد الثقافي

البعد الثقافي للغة يدرس من خلال كونها لغة تعلم ودراسة ، تخدم المجتمع في المجالات العلمية التي يرغب في دراستها واللغة العربية استعملها المجتمع الشادي وسيلة علم وتعلم ، فقام الشاديون المدارس العلمية داخل بلادهم واعترف بنموها وتطورها الرحالة الأوربيون (بارث ودنهام وناشتيجال وغيرهم)، ووجدها الفرنسيون

حينما استولوا على المجتمع الشادي، وسموها بالمدارس القرآنية ولهم مقاصدهم من تحديد المدارس في المجتمع الشادي بالقرآنية، ولكن المهمة الثقافية لهذا الاعتراف هي أن هذه المدارس تدرس باللغة العربية ولاتتوقف عند علوم القرآن فقط بل تشمل علوما ثقافية أخرى يوليها المجتمع أهمية كبيرة وتؤهل من استطاع من أبنائه أن يلتحق بأرقى الجامعات التي تدرس باللغة العربية كالأزهر والقيروان والزيتونة وأم درمان "٣"

٣- البعد الاجتماعي

والبعد الاجتماعي للغة يقاس بمدى انتشار اللغة بين الأوساط الشعبية للمجتمع وبمدى استعمالهم للغة في نشاطاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسة ، وهذا بعد قطعت فيه اللغة العربية شوطا كبيرا ، ويتمثل ذلك في تغلغلها في الأسر الشادية والشارع الشادي والسوق الشادي والمدرسة الشادية "٤" .

وبناء على هذا المقياس تفوق مكانة اللغة العربية اللغات المكتوبة الأخرى خاصة الفرنسية والانجليزيةالتي تفقد الأرضية الاجتماعية ، ولايستعملها الأفراد من المجتمع الشادي إلا للأغراض الرسمية .

٤-البعد القانوني أو المؤسسي

أجبر البعد الاجتماعي للغة العربية في المجتمع الشادي المؤسسات الرسمية أو الحكومية على التعامل معه منذ فترات طويلة ، حيث اعتبرت اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة في جميع الممالك الشاديةوأن وصول الاستعمار لم يغير من هذه المكانة رغم محاولاته المتكررة، فقد اعترف الحاكم العسكري الفرنسي بهذه الحقيقة وتقبل رسائل عديدة كتبت باللغة العربية، حفظ لنا المتحف الوطني الشادي أمثلة لها وهي تحت رقم ٧٦٤ بتاريخ ١٩٣٥/٢/١٥م وهي مرسلة إلى الحاكم الفرنسي دي

أدم"٥" وأخرى تحت رقم ١٩٢٨/٦٧٦ "٦" ، وأصدر الحاكم العسكري الفرنسي جريدة باللغة العربية اعترافا منه بمكانة اللغة العربية وهي (كوكب التشاد) لدينا عدد منها صادر سنة ١٩٥٤ وفيه معلومات هامة عن المجتمع الشادي باللغة العربية "٧" .

وبعد الاستقلال أشار (تمبالباي)أكثر من مرة إلى أهمية اللغة العربية في المجتمع الشادي "٨". وبشكل عام فإنه ابتداء من تاريخ ١٩٥٩/١٢/١٥ بدىء عمليا في الاعتراف بتدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية الشادية واعترف (مالم) عام ١٩٧٨م باللغة العربية كلغة رسمية لشاد، واعترف عام ١٩٨٩م الدستور الشادي باللغة العربية باعتبارها لغة رسمية في الدولة بجانب الفرنسية ، وأخيرا نالت اللغة العربية مكانة قانونية في الميثاق الوطني المعمول به حاليا في البلاد .

٥- البعد السياسي

السياسة الحقيقية هي تعبير عن المجتمع بأبعاده التاريخية والثقافية والاجتماعية والقانونية، وقد عبرت الفعاليات السياسية في المجتمع الشادي عن هذه المكانة للغة العربية باعتبارها لغة رسمية في الدولة من ناحية، ولغة حوار سياسي مشتركة تجمع بين جميع فئات المجتمع الشادي من ناحية أخرى .

وأهمية اللغة العربية من الناحية السياسية تعتبر ضرورية في ظل التعددية الحزبية والانفتاح السياسي الذي تعيشه تشاد في الوقت الحاضر ، على اعتبار أن تنوع وتعدد الأحزاب يعني في جانب منه الاعتراف بجميع مكونات المجتمع الشادي والتعبير عنها .

واللغة العربية في الوقت الحاضر من أهم المكونات الاجتماعية والثقافية للمجتمع الشادي المعاصر، وبالتالي فليس من صالح أي حزب سياسي أو جماعة سياسية المساس بأحد أركان الهوية الشادية المتمثل في الثقافة العربية واللغة العربية احتراما لذوق المواطن الشادي ومشاعره الوطنية . "٩"

مقارنة بين مكانة اللغة العربية والفرانكفونية في الواقع الشادي المعاصر

من خلال مناقشتنا للأبعاد المختلفة التي تكتسب بها أي لغة مكانتها في المجتمع وجدنا أن مكانة اللغة العربية في المجتمع الشادي المعاصر تعززها الأصالة التاريخية ، والواقع الثقافي باعتبارها لغة علم ودراسة ولغة عالمية معترفا بها في الأمم المتحدة والوحدة الإفريقية وكل المؤسسات الدولية مما أكسبها مكانة اجتماعية وسياسية، وهذا مما مهد الطريق أمام الاعتراف القانوني باللغة العربية كلغة رسمية في الدولة الشادية الحديثة ، على اعتبار أن السلوك السياسي للعناصر ما هو الا تعبير عن الهوية الاجتماعية والثقافية والتاريخية للمجتمع .

والمقارنة يجب أن تكون بنفس المقاييس السابقة ، فمن حيث البعد التاريخي تم اتصال المجتمع الشادي باللغة الفرنسية في بداية القرن العشرين وبالتحديد عام ١٨٩٠م ، بينما كان اتصاله باللغة العربية في بداية القرن السابع الميلادي ، أما من حيث البعد الثقافي ، فان الفرانكفونية عبارة عن خرافة روج لها الفرنسيون، وتبناها بعض الرؤساء الأفارقة ، ولكن في الواقع أن النطق بأي لغة أجنبية كالفرنسية (حيث لايستطيع أحد أن يدعي أن الفرنسية لغة وطنية يتكلمها سكان شاد) هو تعلم هذه اللغة حيث يتسنى له النطق بها، وتاريخ التعليم الفرنسي في شاد ليس خافيا على أحد في الوقت الحاضر، فقد أشارت دراسات لليونسكو أنه فى شاد لم يستطع الالتحاق بالمدارس الفرنسية قبل الاستقلال بقليل سوى (٥ر٢٪) من الأطفال في سن الدراسة وحتى عام ١٩٣٧ لم تكن هنالك إدارة مستقلة للإشراف على التعليم بل تعمل تحت إشراف ضابط إدارى ، والخلاصة أن معظم المدارس فى تشاد كانت ابتدائية قبل الحرب العالمية الثانية .

وتبدو المقارنة أكثر وضوحا حينما نتناول البعد الاجتماعى ، فالأرضية الاجتماعية

في شاد هي للثقافة العربية ، بينما ظلت الفرنسية مسيطرة على المكاتب الحكومية التي لوحظ أن أغلب الحديث فيها يتم باللغة العربية منذ إنشائها إلى اليوم .

أما من حيث البعد القانوني والمؤسسي فان الفرنسية كانت معززة بقوات من الإدارة الفرنسية في زمن الاستعمار ، وبوسائل أخرى للتعاون والضغط بعد الاستقلال ، وبالتالي فان قوة القانون تدعمها بشكل عملي أكثر من العربية .

وفي البعد السياسي أيضا نرى آثار البعد القانوني الذي غلب عليه الجانب الفرنسي ، ولكن هنالك شعورا من قبل الفعاليات السياسية بحساسية التعامل مع مكانة اللغة العربية في المجتمع الشادي .

الخلاصة :

إن للغة العربية مكانة في المجتمع الشادي الحديث بجميع المقاييس التي تناولناها في هذا الحديث ، إلا أن ضعفها في أبعاد معينة مثل البعد القانوني والبعد السياسي ، قد أثر في تطورها وتقدمها في الأبعاد الأخرى مثل البعد الاجتماعي والثقافي والتاريخي ، وهذا أمر يتطلب وعيا من قبل المهتمين بمكونات الهوية الشادية والتي تعتبر اللغة العربية من أهم مكوناتها ، وبالتالي يجب السعي نحو إظهار اللغة بحجمها الطبيعي وإعطائها الصبغة القانونية حسب مكانتها في المجتمع الشادي المعاصر .

ومما يساعد على ذلك التعبير عن هذه المكانة من خلال القنوات السياسية باعتبارها أحد المطالب الرئيسية للمجتمع الشادي الساعي نحو استكمال جميع مكونات شخصيته الوطنية .

الهوامش

١/ CHAPELLE, JEAN : LE PEUPLE TCHADIEN SES RACINES ET SA VIE QUOTIDIENNE , L' HARMATTAN , PARIS , 1986. P. 149 .

٢/ الإشارة هنا إلى المعارف التي كتبها سلطان كانم (حمي جمعه للعالم الجليل ابن ماني الذي علمه القرآن عام ١٠٨٥م . وإلى أعمال الإمام أحمد بن فرتو : خاصة كتاب غزوات السلطان إدريس ألوما في القرن الرابع عشر ، والذي طبع في المطبعة الملاصيرية بكنو ، ١٩٣٠م.

٣/ أيوب،محمد صالح : « جذور الثقافة العربية في وسط إفريقيا ، بحيرة شاد وانتشار الثقافة العربية (مجلة الثقافة العربية) ، العدد الأول ، السنة السابعة عشر ، مطابع الثورة – بنغازي ١٩٩٠ ، ص ٥٢ – ٦٩

٤/ أيوب،محمد صالح : جماعات التحديث الاجتماعي في وسط إفريقيا . مطبعة المعرفة ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ١٢١ – ١٢٢

٥/ مخطوطة : المتحف الوطني الشادي ، رقم ٧٦٤ – ١٩٣٥ م ،انجمينا – تشاد .

٦/ مخطوطة : المتحف الوطني الشادي ، رقم ٦٧٦ ، عام ١٩٢٨ أنجمينا .

٧/ كوكب شاد : جريدة شعرية أخبارية اقتصادية أدبية ، عدد (٧) مايو ، ١٩٥٤ السنة الثالثة فورلامي .

٨/ أصدر الرئيس تومبلباي مرسوما رئاسيا رقم ١٠٩٥ سنة ١٩٦٦م اعترف فيه بأهمية تدريس اللغة العربية ودعم مدارسها المتوفرة وأورد اثنتي عشرة مدرسة لدعمها ماديا في جميع القطر الشادي .

٩/ أيوب، محمد صالح : المتغيرات الاجتماعية الكبرى وأثرها على الشخصية بحث علمي قدم في الندوة العالمية حول الشخصية الشادية ، جامعة شاد ، المعهد الوطني للعلوم الإنسانية إنجمينا من ٢٥ إلى ٢٩ نوفمبر ١٩٩١م .